آليات التّماسك النّصي في الشعر الجزائري
قصيدة "في اتّجاه الوطن" للشاعر فاتح علّاق أنموذجا

Mechanisms of textual cohesion in Algerian poetry
A poem "in the direction of the homeland" by the poet Fatih Allag model

نورة كادي

جامعة يحي فارس المدية (جزائر)، mradjai@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/07/24 تاريخ القبول: 2022/01/05 تاريخ النشر: 2022/06/11

الملخص:

لسانيات النّص فرع من فروع علوم اللّغة التي تهتم بكل أنواع النصوص التي تعدّ أساسا هاما في تواصلاتنا اليومية، وهذه الدراسات اللّغوية عندما تهتم بالنص لتحاول أن تكتشف طريقة بنائه لا تتوقف عند كلمات النص وجملها وتحليلها من زوايا الدرس اللغوي وحسب، وإنّما تحاول أن تأخذ في حسبانها كل العوامل المعرفية والنفسية والاجتماعية والعقلية التي تضافرت كلها لتصنع ذلك المنجز اللّغوي (النّص).

تقوم هذه الورقة البحثية على تفعيل بعض مفاهيم لسانيات النّص، متخذة من الاتّساق والانسجام مرتكزا هاما للكشف عن كلية النص الأدبي الشّعري من خلال تطبيقها على قصيدة جزائرية معاصرة الموسومة ب "في اتّجاه الوطن".

الكلمات المفتاحية: لسانيات النّص، الإتّساق، الإنسجام، التّماسك.

Abstract:

Text linguistics is a branch of language science that cares about all kinds of texts that are considered as an important basis in our daily communication. These linguistic studies, as they are concerned with text, try to discover the way texts are constructed. They try to reveal the cognitive, psychological, social and mental factors that have come together to make this linguistic achievement (text).

This paper is based on the activation of some concepts of text linguistics, especially cohesion and coherence, in order to reveal the universality of poetic literary text by applying it to an Algerian contemporary poem which is entitled: "Towards the homeland".

Key Words: text linguistics, cohesion, coherence, harmony.

المؤلف المرسل: نورة كادي، **الإيميل:** mradjai@yahoo.com

1. مقدمة:

النّص نشاط إنساني قوامه اللّغة، ينتظم في بنية تستجيب لنظام معيّن، هدفه في غالب الأحيان التّأثير في الآخرين وتوجيههم في اتّجاه معين.

ويظهر أنّ علاقة التّأثير التي يسعى إليها المنتجون من خلال منجزاتهم اللّغوية (ملفوظة كانت أو مكتوبة) هي مدار بحث لسانيات النّص أو علم النّص الذي يدرس "العلاقة بين بنية مجرّدة وتأثيراتها في المعرفة والرأي والمواقف وأفعال الأفراد أو الجماعات أو المؤسسات". **(ديك، 2000، صفحة 26)** وارتكاز هذه الدّراسات اللّسانية على النّص له ما يبرّره إذ اتّضح للدّارسين في هذا المجال أنّ كل اتّصالاتنا وتواصلاتنا لا تتم إلّا عن طريق النصوص.

إنّ مسألة التّواصل والتّأثير في الآخرين عن طريق النصوص من المساعي التي لا يمكن أن تتحقّق إلّا إذا كانت الإنتاجات اللغوية قابلة للكشف والإدراك والتّحليل في مستوى بنياتها الشكلية الظّاهرة، والدّلالية الخفيّة العميقة، بحيث يُمكِّن وجود هاتين البنيتين المتلقيَ من اختراق عالم النص.* وبتعبير آخر، يمكن أن نقول إنّ كل نصٍّ قابلٍ للإدراك والتّحليل هو نص يمتلك خاصّية التّماسك.

تهدف إذن لسانيات النّص من خلال المستوى التّحليلي للنصوص إلى " الكشف عن الأبنية السّطحية والعميقة للنصوص من خلال البحث في علاقات التّرابط والتّناغم والكشف عن العلاقات الرابطة بين القارئ والنص والمنتج". **(نعمان، 2012، صفحة 34)**

والكشف عن قضية التّماسك لتلك الأبنية يضع المحلّل أمام مصطلحين هامين هما الاتّساق والانسجام وهما من المعايير التي تشغل موقعا هامّا في لسانيات النّص. أمّا المصطلح الأول فهو تلك الوسائل اللّغوية التي يتحقق بها التّماسك والتّرابط داخل النصوص. وتعدّ العناصر الإحاليّة وأدوات الرّبط وأنماط التّكرير المعجمي من الظواهر اللّغوية التي

* المقصود هنا بمكونات عالم النص جملة المفاهيم والمعارف التي ينقلها المنتج عن العالم الواقعي إلى النّص عن طريق اللّغة.

تحقّق خاصّية التّرابط، إذ " تنهض بأدوار في ترابط النّصوص تركيبيّا ونحويّا تتجاوز حدود الجملة الواحدة." **(شوقي، 2018، صفحة 122)**

ويعرّف محمد خطابي المفهوم الثاني بأنّه " أعمّ من الاتّساق، كما أنّه يغدو أعمق منه بحيث يتطلب الانسجام من المتلقّي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفيّة التي تنظّم النّص وتولّده، بمعنى تجاوز رصد المتحقّق فعلا أي الاتّساق إلى الكامن (الانسجام)، أي نقل الاهتمام من النّصي إلى الذّهني." **(محمد، 1990، صفحة 6)**

إنّ ما ننوي القيام به في هذا البحث يكمن في تفعيل مفهوم الاتّساق والانسجام من خلال تطبيقهما على نصّ شعري جزائري معاصر للشاعر فاتح علاق ومحاولة الكشف عن آليات الرّبط والتّرابط في الأبنية السّطحية والعميقة التي تؤطّر قصيدة "في اتّجاه الوطن".

2. تآلف البنى في قصيدة "في اتجاه الوطن"

1.2 بين يدي العنوان:

أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول، أدخل هنا محتوى العنوان الفرعي الأول.

لعلّ الدّارس لهذه القصيدة تستوقفه البنية الأولى للنّص الشعري وهي دلالة العنوان التي تبيح لنا أن نتّخذ منها متّكأ نعبر من خلاله إلى مضمونه، إذ يقدّم لنا العنوان وما توفره التّجربة السّابقة التي عاشها الشّاعر في الغربة إمكانية الدخول إلى أعماقه وفهم سبب نفسيته المتعبة والإحساس الطّاغي بالقلق. وكل هذه المنغّصات تشعل في الشاعر فاتح علّاق الرّغبة في التّوجه إلى مكانٍ غير الذي كان فيه، وتلك الرغبة تفتح أمام شاعرنا دروبا كثيرة ومسالك متنوعة ممّا يجعله في قلق وحيرة، لكنّ هذه الحيرة سرعان ما تتبدّد عندما يصل إلى الاختيار الحاسم والصائب، وهذا عندما يدرك أنّ الاتّجاه لابدّ أن يكون صوب الوطن. واتّخاذ الشّاعر هذه الوجهة –لا ريب– يحملنا إلى اختراق هواجس النفس التي تتملّكه، فإذا هي هروب من الموت والوحدة والضّياع، ليسري بعدها الحنين الجارف والرّغبة الجامحة للوصول إلى بلده، رّغبة تخترق الزمن وتلغي الحدود. والوصول إلى الوطن أمر لا تقف

المسافات الطويلة عائقا أمامه، لأنّه بالنسبة للشّاعر رمز لاستجماع الذّات الممزّقة وبثّ القّوة فيها حتى تشعر أنّها موجودة بالفعل.

إنّ التّوجّه صوب مكان واحد هو الوطن، يعني إقصاء كل زوايا النظر التي قد تزيغ في هذا الاتّجاه أو ذاك، ويبقى التّوجّه إلى الوطن دالّا مرّة أخرى على الخروج من مكان سحيق ظلّ على امتداد الأيام والأشهر يمارس واقعا خانقا وقاتلا، وهو واقع الغربة بكل ما تحمله الكلمة من معاني الضياع والتشتت والمهانة، ليبني الشّاعر بعد ذلك واقعه الجديد بالعودة إلى الوطن الأم.

2.2 البنية النحوية وتحقق التّماسك :

المحلّل لهذه القصيدة لا بد أن يقف على كل الأدوات التي تؤدي إلى تماسك البنية الظّاهرة على مستوى النص الشعري. ولعلّ ما يشدّنا أنّ كلّ الأسطر الشعرية قد تم الرّبط بينها بضمير المتكلم "أنا "، حتى أنّه لم يَخْل منه مقطع بل ولا سطر، وهذا ما يدلّ على وجود ذات مستمرّة هي التي تشكّل التّجربة الشعرية وترسم أبعادها وحيثياتها، والرّبط بضمير المتكلم الدّال على المفرد يبرز استمرارية الإحالة الى ذات واحدة هي المهيمنة. ويظهر ذلك في الأسطر الشّعريّة التّالية من المقطع الثّاني حين يقول الشاعر:

يبدأ الدّرب من قلقي
ويعود الطّريق إليّ
من ألمٍ قد بدأت الرّحيل
إلى أمل جامح
وأشرعةٍ للهديل
لا الأرض ظهري
لا الروح نيلي. **(فاتح، 2003، صفحة 20)**

كما تمّ الرّبط في حالات كثيرة بالعطف عن طريق "الواو"، وهو الحرف الذي ظهر في جميع المقاطع الشعرية الثلاثة بمعدل ثماني حالات. ويمتدّ الرّبط على مدى المقاطع الشّعرية عن طريق حروف الجرّ الّتي ارتكز عليها الشّاعر ارتكازا قويّا يحملنا على الوقوف عندها، إذ تقوم هذه الأحرف على وصل الجمل بعضها إلى بعضٍ ممّا يزيد في إحكام التّرابط بين الأسطر، فالمقاطع، فالنّص الشعري كلّه. ومن أمثلته قول الشاعر:

من ألمٍ قد بدأت الرّحيل
إلى أمل جامحٍ
(...)
إلى أين تمضي؟
إلى بلد مُشرق
أغنية رائعة
أبحث عن لغة ضائعة
عن زهرة ترسم الدّرب للقادمين. **(فاتح، 2003، الصفحات 20-21)**

إنّ هذا النموذج يجعلنا أمام تواتر حرفين هما حرف الجر" من" و" إلى"، وهي الحروف التي ترسم لنا الذّات الشاعرة التي تبدأ رحلتها بالبحث عن الذّات والحقيقة والمجهول من أمكنة معينة، لتنتهي إلى الهدف أو الأمل المنشود، تلك الرّحلة التي بدأت من بلاد الغربة التي ضيّع الشاعر فيها اسمه ورسمه ينظر **(فاتح، 2003، صفحة 17)**، لتصل به إلى مشارف الوطن، وفي هذا يقول فاتح علاّق:

من ألمٍ قد بدأتُ الرّحيل
إلى أملٍ جامح
وأشرعةٍ للهديل. **(فاتح، 2003، صفحة 20)**

والصّور نفسها تتكرّر في المقطع الأخير من القصيدة الشعرية، عندما تغمر الشاعرَ آمال كبيرة أثناء الاتّجاه نحو الوطن والوصول إليه، يقول الشاعر:

إلى أين تمضي؟
إلى شجرٍ فارعٍ
إلى خافق
أشق الطّريق إليه فينأى. **(فاتح، 2003، صفحة 21)**

إنّ بين هذه الأسطر الشّعرية تماسكا محكما، يؤسّسُه حرف الجر " إلى" الذي يدلّ على الانتهاء والوصول إلى الغاية، وقد جاء مرتبطًا ارتباطاً عميقاً بالأسطر الشعرية السّابقة له والتي يتصدّرها حرف الجر "من" الذي يدلّ على الابتداء، وهذا ما يؤكدّه قول فاتح علاق:

من قمرٍ جارحٍ

من سفرٍ مالحٍ
من معصرة
إلى شجر فارعٍ. **(فاتح، 2003، صفحة 21)**

ومن الوسائل التي أثرى الشّاعر قصيدته بها خاصيّتا الحذف والاستبدال، وهما من العناصر المهمّة التي تكشف عن تماسك شديد بين أجزاء النّص الشعري " في اتجاه الوطنّ"، فتغدو بذلك الجمل سلسلةً من المتتاليات التي يرتبط بعضُها ببعضٍ. ومن مواطن الحذف التي تستوقفنا حذف الفعل " أمضي" في بعض الأسطر الشعرية الموجودة في آخر مقطع من القصيدة، من مثل: إلى بلدٍ مشرقٍ، أغنية رائعةٍ، إلى شجر فارغ، إلى خافق، ليكون تقدير المحذوف كالآتي: أمضي إلى بلدٍ مشرق، أمضي إلى أغنية رائعة، أمضي إلى شجر فارعٍ. وللتّذكير هنا، فإنّ الفعل المحذوف" أمضي" قد وردَ مصرحاً به في مستهلّ المقطع الأخير في الاستفهام التالي: إلى أين تمضي؟ وهذا العنصر المحذوف هو الذي يُوجِد هذا التماسك وهذه الاستمراريّة التي تفرض نفسها على المقطع الثالث كلّه.

وإلى جانب الحذف يتبيّن لنا أنّ الاستبدال من الرّكائز التي أسهمت في بناء النص وتماسكه على المستوى النّحوي، وهذا حين تتأكد استمراريّة الإشارة إلى الذّات نفسها الممتدة عبر مساحة آخر مقطع من القصيدة، ففاتح علاّق لا يجد مضضنّا في أن يستبدل لفظة "بلدٍ" بمفردات ووحدات لغوية أخرى ما دامت تحقق المعنى نفسه، فالعناصر المستبدلة تمضي هي الأخرى في سبيل تجسيد الرّبط الذي يقدم في الأخير بناءً نصّياً. ومن هذه العناصر المفردات التالية: أغنية رائعة، لغة ضائعة، زهرٍ، شجر فارع، أمل جامع، خافق. وهي كلّها عناصر بديلة عن الوحدة اللّغوية " بلد" الواردة في السطر الثاني في المقطع الثالث من القصيدة. ومن أمثلة الاستبدال قول الشاعر:

إلى أين تمضي؟
إلى شجر فارعٍ
يشاركني لغتي العالية
إلى خافقٍ. **(فاتح، 2003، الصفحات 19-20)**

ويمضي الشاعر في التّنويع في وسائل الاتساق، وتستوقفنا في ذلك بنية التّكرير التي تظهر بنسبة ورود تسترعي الملاحظة إذ يتّخذ أشكالا متنوعة، فقد تم تكرير الاسم والفعل والجملة. ومن أمثلته:

وحدي على الدّرب يلتهم السّير خطري
(...)
وحدي أحمل رجلي وأعدو ورائي
(...)
موغل في الغياب
موغل في العذاب
موغل في الجهات التي تنتهي
ولا تنتهي. **(فاتح، 2003، الصفحات 19-20)**

ومن أمثلة تكرير الجمل ما ورد في إعادة صياغة الاستفهام إعادة مباشرة في العبارة التالية: إلى أين تمضي؟، وهو الاستفهام الذي تكرّر مرتان في نهاية القصيدة ليشكّل بذلك ذاتا وصوتا آخر ينسلخ من ذات الشاعر تسأله وهو في غمرة من السعادة اللّاواعية، إلى أين المسير؟.إنّ هذا الاستفهام يشي بدلالات كثيرة تُختزن في أعماق فاتح علاق، وهي الدّلالات التي تؤكّد رغبة الشّاعر في الهروب من تجربة أليمة تركت جراحها غائرة ممتدة في الأعماق لا يريد أن يتذكرها، لينأى بعيدا إلى مكان آخر لا يكون فيه غريبا. وهذا السؤال يؤكّد مرّة أخرى تعطّش الشّاعر للارتماء في أحضان الوطن، وفعل "تمضي" هنا من الأفعال التي توحي بالسّرعة وعدم الالتفات إلى أيّ شيء قد يعيق مسيرته وتقدّمه في اتجاه واحد هو الوطن.

وخلاصة القول إنّ هذه الإعادة لعبارة أين تمضي؟ قد ساهمت إلى حدّ بعيد في تكثيف الدّلالة والتّأكيد على حب الوطن والوفاء له، فالشاعر لا يحسّ بذاته ولا بكيانه إلاّ وهو في بلده كالسّجين الذي لا يستلذّ الحياة إلا عندما ينعم بالحرية. والشّاعر وهو في غمرة السرور بالتّوحّد مع الوطن يجعلنا نسترجع من حيث ندري أو لا ندري قول أحمد شوقي:

اختلاف النهار والليل ينسي اذكرا لي الصبا وأيام أنسي

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي. **(أحمد، دون تاريخ، الصفحات 45-46)**ومرة أخرى ينتج تماسك الجمل في قصيدة "في اتّجاه الوطن" من خلال الإعادة الضمنية لكثير من الوحدات اللغوية عن طريق الإضمار، هذا الأخير الذي يشكّل دعامة أساسية في البناء الشكلّي المسبّب للتّماسك. وأمثلته كثيرة في النص منها:

وحدي على الدرب يلتهم السير خطوي
ويقذفني (هو) في اتساع العراء
(...)
موغل في الجهات التي تنتهي
ولا تنتهي (الضمير هي العائد على الجهات)
(...)
إلى شجر فارغ
يشاركني (هو)العائد على "شجر"
(...)
تصلني (هي) الفاجعة. **(فاتح، 2003، الصفحات 19-20-21)**

إنّ هذه الضمائر، على اختلافها، هي التي تصنع هذا الامتداد والتوسع في النص من خلال ربط جملة بأخرى، ومقطع بآخر ليمتدّ إلى النص الشعري كلّه. ويستوقفنا في هذه الضمائر ضمير الغائب المفرد المذكر الوارد في قول الشاعر:

أشقّ الطريق إليه فينأى
لتمتدّ رحلته وشقائي. **(فاتح، 2003، صفحة 21)**

وهو الضمير الذي استطاع أن يخترق أسطرا شعرية بكاملها، ليحكم قبضته على المقطع بأكمله، إنّه الضمير الذي دلّ على لفظة "بلد" التي جاء ذكرها في مستهل المقطع الثالث والأخير من النص الشعري -محل الدراسة- لتتأكّد قدرته على اختزال العديد من الأسطر فيه. وإذا حاولنا أن نعيد بناء هذا المقطع على الشكل التالي، فإنّنا نحصل على تماسك وترابط من دون أن يضطرب المعنى، حيث يقول فاتح علّاق:

إلى أين تمضي
إلى بلد مشرق

أشق الطريق إليه فينأى

لتمتد رحلته وشقائي. **(فاتح، 2003، صفحة 21)**

3.2 بنية الأفعال ودورها في اتساق النص

. صيغة المضارع:

إذا أمعنّا النّظر في القصيدة الشعرية "في اتجاه الوطن"نجد أنّ الفعل المضارع قد شغل حيزا كبيرا على مدى كل المقاطع الشعرية. والفعل المضارع –كما هو معلوم –يتّصف بالاستمرارية في الزمن، ولا عجب في أن يكون هو المهيمن لأنّ الشّاعر في رحلة بحثٍ عن الذّات وعن الوطن، والرحلة والبحث كلاهما يستلزمان حركة دائبة دائمة، ويحْتاجان إلى جهد مستمر، وهذا ما يجعل الرحلة عملية مستمرة يأمل الشاعر من خلالها أن يجد ما ضاع منه ومن ذاته وهو بعيد عن الوطن. وهو في بحثه هذا لا يهدأ له بال، فيظل ينتقل من درب لآخر متحملا في كل ذلك مشاقّ السّفر وتقبّل مفاجآته. ومن هذه الأفعال نذكر: يلتهم، يقذفني، أحمل، أعدو، يرحل، يبدأ، تمضي، يشاركني، أشق، ينأى، تمتد، تصلبني، تنتهي.

والملاحظ على هذه الأفعال المضارعة قدرتها على التّمثيل إذ تحيلنا على الشّاعر الإنسان الذي يقاسي الأمرّين في سبيل الوصول إلى الوطن. غير أنّ القصيدة تنتهي بهذه النّغمة الحزينة المتشائمة حين يكتشف فاتح علاق أن وطنه ينأى بعيدا عنه، وهذا ما يضاعف من حجم الأسى في قلبه فيرتد الأمل ألما وفاجعة تصلبه وتسحقه، وما نلاحظه على أفعال هذه القصيدة أنّها تجسد كلها قضية البحث عن الحقيقة.

. صيغة الماضي:

لم يوظف الشاعرالفعل الماضي إلّا ثلاث مرات فقط، وهي نسبة ورود ضئيلة جدا توحي بموقف الشّاعر من الماضي وعدم رغبته في الالتفات إليه، خاصة بما تحمله تجربة الغربة من انكسار وضياع ووحدة، وقد وردت هذه الصّيغ في الأسطر الشّعرية التّالية:

يرحل "كان" ويغرب "آن"من ألم قد بدأتُ الرّحيل.

. دلالة البنية الصوتية

إنّ الوقوف عند البنية الصوتية للنص الشعري يقتضي "الوقوف على خصائص الإيقاع، وتمعين الوظيفة الرمزية للأصوات من خلال عامل التكرار الصوتي **(نعمان، 2012، صفحة 218)** وما نلمسه في هذه القصيدة تكرّر صامت الحاء،والتاء، والشين وهي

من الأصوات التي تنضوي تحت لواء صفة الهمس، وقد عرّفها علماء العربية بأنها الأصوات التي "لا يصاحب نطقها اهتزاز الوترين الصّوتيين". **(علي خ.، 2011، صفحة 124)** وهذه الأصوات المهموسة المتواترة في النص الشعري تتفاعل بشكل كبير مع حالة الانكسار التي تعيشها ذات الشاعر، وهذا ما يبدو جليّا في إضعاف قوة الصوت الموظف وكلّها تشي بالحزن والحنين إلى الوطن.

أمّا عن البحر فقد ارتأى الشّاعر أن تقوم قصيدته على تفعيلات بحر المتقارب التي تتميّز بالتّدفق والرتابة ينظر **(الرضا، 2007، صفحة 102)** وتتكرّر فيه تفعيلة "فعولن"ثماني مرات، غير أنّ شعراء الشعر الحر كرّروا هذه التّفعيلة بحسب الحاجة وهذا ما نراه عند شاعرنا، فقد اعتمد على تكرير هذه التفعيلة مغيّرا من عددها من سطر إلى آخر، كما أنّه انتقل من ضرب إلى سواه من أجل كسر رتابة التّكرير. وعليه فإنّ فاتح علاّق قد استخدم كلّ أضرب التّشكيلات التي يبيحها بحر المتقارب، إذ جمع في القصيدة ذاتها بين الضّرب الصحيح "فعولن" والمقصور فعول بسكون اللاّم، والمحذوف فعو الذي ينقل إلى " فعلْ" والمقبوض بضّم اللاّم فعول. وهذه أشطر من قصيدته التي يقول فيها:

وحدي على درب يلتهم سسير خطوي
0/0/ 0/0// /0/// 0/0//0/0
فعلن فعولن فعول فعولن فعولن
أبحث عن لغتن ضائعتن
/0/ / /0 / // / 0/ / 0///0
فعل فعول فعولن فعلن
من قمرن جارحن
/0 /// 0/ 0//0/
فعل فعو لن فعو (فعل)
أشُقُّقُ ططريق إليه فينأى
/0// 0 /0// //0///0/
فعولن فعول فعول فعولن

وتظهر نغمة المتقارب الحماسيّة في المقطع الأخير، فرنّته واضحة تصلح للطّابع الحماسيّ ينظر **(علي ا.، 1998، صفحة 39)** الذي يتلاءم والحالة النفسية للشاعر المتشوّقة للوصول إلى الوطن. وهذا ما يجعل الأسطر الشّعرية التي تنطوي على هذه الدّلالات قصيرة، فكأنّي بفاتح علاّق لا يريد أن يشغله شاغل ولا يريد أن يطيل الحديث مع السّائل الذي يريد أن يعرف وجهته، ومن أجل ذلك تظهر إجاباته السريعة المقتضبة، وأمثلة ذلك قوله في نهاية القصيدة:

إلى أين تمضي؟
إلى بلدٍ مشرق
أغنية رائعة
أبحث عن لغة ضائعة
من قمر جارح
من سفرٍ مالحٍ
من معصرة
إلى أين تمضي؟
إلى شجر فارع
إلى خَافق. **(فاتح، 2003، صفحة 21)**

وعلاوة على ذلك نجد الشّاعر قد اعتمد في نصّه الشعري " في اتجاه الوطن" على المقاطع الصّوتية المفتوحة، وهذا ما يسمح بإطالة النفس الشّعري من جهة ومنح مساحة أرحب للشاعر المتألّم حتّى يعبّر عن آهاته وآلامه وآماله من جهة ثانية. وتتضّح هذه المقاطع الصّوتية في كثير من الوحدات اللّغوية مثل: الغياب، العذاب، الجهات، اتساع، زادي، مائي، رائعة، ضائعة، تمضي، نيلي، شقائي، فارع، جارح، مالح... وغيرها. إنّها أصواتٌ طويلة أرادها الشاعر أن تخترق قلوب الآخرين قبل أسماعهم حتّى يشعروا به ويحسّوا بمعاناته، فيكون التفاعل أقوى وأعمق.

أمّا موسيقى الأصوات فقد نوّع الشاعر– على عادة الشعراء المعاصرين– في القافية، وما يشدّ الانتباه إليها هو حرف الروي الذي تُبنى عليه القصيدة، وقد جاء كما نرى منوّعاً ما بين الباء واللاّم، والعين، والحاء وهو ما يسمح بالتنّوع الإيقاعي الذي تخلقه مواقع الأصوات،

بالإضافة إلى ورود هذا الرّوي مطلقا أي متحرّكاً غير ساكن.*وهو في كثير من الأحوال موصول بحرف مدّ ناشئ عن إشباع حركته المتحركة، وهذا ما يوحي برغبة الشّاعر في التحرّر من قيود الغربة والاغتراب والعيش طليقاً حتى يطلق العنان لذاته لتعيد بناء كيانها وصلابتها في ظل الحرّية المفقودة خلال تجربته التي مرّ بها.

ومهما يكن من أمر، فإنّ كلّ هذه العناصر الموسيقيّة على تنّوعها وثرائها استطاعت أن تجسّد بكل صدق انعكاس التجربة الصّادمة على نفسية فاتح علاّق والتي جعلته يسعى إلى تقوية القطب الصّوتي وتكثيفه من أجل أن يجعل المتّلقي مشاركاً له.ومن نافلة القول في الأخير، أن نشير إلى أنّ هذا الاهتمام البالغ بالبناء الصّوتي هو الذي مكّن من تشكّل كل أجزاء النّص الشعري في "اتجاه الوطن " ضمن كلّية واحدة لتصنع وحدةٌ منسجمةً في الشكل والمضمون.

4.2 البنية الدّلاليّة وتماسُكها في قصيدة " في اتجاه الوطن":

تمثّل القصيدة الشّعريّة التي بين يدينا موقفاً من مواقف الحياة التي يمكن أن يتعرّض لها الإنسان، ولأنَّ الشّاعر أكثر النّاس انفعالا بالتّجارب التي تجعل ذواتهم على المحكّ، فإنّ وللاقتراب أكثر من .فاتح علاّق يحكي مرحلةً من حياته إثر اغترابه عن وطنه إلى باريس هذا النّسيج اللّغوي الإبداعي لابدّ من ممارسةٍ لمقاربة لسانية نصيّة تكشف عبر آليات كثيرة مدى انسجام القضايا الواردة فيه، وهو ما يتيح لنا عبر مبادئ كثيرة أن نحلّلَه، من أهمها:

. التّطابق الذّاتي :

يخلق التّطابق بين الألفاظ والضّمائر المحال عليها نوعاً من الانسجام، ممّا يخلق لدى المتلقي استمرارية في المعنى. وهذا التّطابق هو الذي ينشئ رابطاً محكماً بين القضايا في النّص. وغنيٌ عن البيان أنّ قصيدة " في اتّجاه الوطن" يحكمها ضمير مهيمنٌ هو الذي يسيّر الأحداث من بداية النّص إلى نهايته، وهو ضمير ثابت لم يتغيّر في كلّ مقاطع النسيج الشّعري، ومثال ذلك التطابق بين الباثّ وهو الشاعر وبين الضمائر المتّصلة بالأفعال والأسماء، والتي تعود كلها على فاتح علاّق في مثل: وحدي، خطوي، أحمل، زادي، قلقي،

* إذا كان حرف الروي متحركاً سمي مطلقاً، أمّا إذا كان ساكناً فهو المقيد كقول أحمد شوقي:
واطلبوا العلم لذات العلم، لا لشهادات وآراب أخَرْ.

إليّ..... وغيرها.إنّ كل الأحداث التي تقع للشّاعر أو المواقف التي تعرّض لها ويريد أن يعبّر عنها، هي مواقف تخصّ ذاته وعليه فهو لا يخرج عن وصف ما يتّصل بحاله أو ما يتّصل بالمحيط الموجود فيه ضمن زمانٍ ومكانٍ معينين لهما تأثيراتهما على الشاعر دون سواه.وتبقى الذّوات المذكورة الأخرى الواردة في كل المقاطع من مثل " الطريق، الأرض، القمر... من الأمور التي تصنع السّياق الخارجي الذي يحيط بالشاعر وهو متّجه إلى الوطن هارباً من الغربة.

وانطلاقا من هذا الفهم لمعنى التّطابق الذاتي أو التّطابق الإحالي، يمكن أن نقول إنّ النّص في غاية الانسجام، ولكن هل يكفي هذا المبدأ للحكم المطلق على انسجام القصيدة الشعرية " في اتجاه الوطن"؟.

. مبدأ التّغريض :

ومن المبادئ الأخرى التي يمكن أن تقدّم يد العون في فهم دلالات النّص وإمكانية فهم العلائق التي تربط القضايا داخله مبدأ التّغريض.

إنّ كلّ نصٍ "هو مجموعة من القضايا التي تنتظم في شكل بناء هرمي، قمته هي القضية الكبرى". **(عزة، 2007، صفحة 195)** ويعتمد المتلقي للوصول إلى هذه القضية الكبرى على عناصر مهمة يرتكز عليها منتج النّص أو الباث، والعنوان عادةً يعتبر الأساس الأوّل في ذلك، كما أنّ الجملة الأولى قد تختزل القضية الكبرى، لأنّها تحمل في الغالب المعنى الذي تدور في فلكه كلّ المعاني الجزئية التي تكوّنه. ولعلّ السّائل قد يسأل عن الطّرق التي يتم بها التّغْريض، وهي في الغالب " تكرير اسم الشّخص، واستعمال ضمير محيل إليه، تكرير جزء من اسمه، استعمال ظرف زمان يخدم خاصية من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنيّة." **(محمد، 1990، صفحة 59)**

وإذا كانت القصيدة موسومة بـ" في اتّجاه الوطنّ"، فإنّنا نفترض مسبقاً أنّ الأسطر الشّعرية التي تأتي تابعة للعنوان تحوي بعض ماله علاقة بالاتّجاه، وهذا ما نجده فعلاً من وحدات مثل: السّير، الدّرب، الخُطى، أعدو، الجهات، تمضي، وهي مفردات تثير لدى المتلقي توقّعات قويّة تحمله على إدراك أنّ القصيدة تسير ضمن الحديث عن قضية رحلةٍ أو بحث.

لقد تمّ التّغريض أيضا عن الموضوع بإعادة لفظة "الوطن" عن طريق الصّيغة البديلة " بلدٍ"، وعليه يبدو من السّهل على المتلقي أن يدرك من خلال قراءته للقصيدة أنّ تيمته الهرميّة ترتكز على رحلة البحث عن الوطن، وهو ما يؤكّده الشطر الثاني في آخر نهاية المقطع الثالث، حين يقول الشاعر:

إلى أين تمضي؟

إلى شجر فارع

إلى خافق

أشق الطّريق إليه فينأى. **(فاتح، 2003، صفحة 21)** لقد استطاع هذا المبدأ أن يحقّق بين مقاطع القصيدة وبين العنوان توافقاً دلاليا كبيراً، ممّا ينأى بالنّص الشعري بعيدا عن التّضارب والتّنافر.

. التّقابل ودوره في حبك النّص :

إنّ قراءة القصيدة " في اتجاه الوطن" وفهمها وتأويلها، يحملنا بادئ الأمر على وضعها في السّياق العام لها، وقد يقودنا هذا إلى بناء جسر نعيد من خلاله العبور والعودة إلى القصيدة السابقة " أسوار" لتتكشف لنا العلاقة الوطيدة بينهما.والعودة إلى الوطن والبحث عن الذّات داخله لم تكن لولا التجربة المؤلمة التي عاشها فاتح علاّق أثناء ذهابه إلى باريس سنة 1986 وهي الرّحلة الأولى التي غادر فيها الشاعر وطنه إلى بلاد غريبة عنه في اللّغة والدين والقيم الحضارية، والرّحلة الأولى تحمل معها –في الغالب– آمالاً واعدة لشابٍ في عقده الثالث، همّه الأكبر اكتشاف المجهول ومعرفة الآخر. بيد أنّ هذه الآمال سرعان ما ارتدّت إلى خيْباتٍ وحسرات وانكسارات. تلك الانكسارات، ثُم الرّغبة في الهروب، هي القضايا التي تؤطّرها الأسطر الشّعرية الأولى للقصيدة محلّ الدراسة، فالشّاعر يعبّر عن دلالات الضّياع والمعاناة والعذاب والوحدة بعيدًا عن وطنه.

وتلتقي هذه الدّلالات مع ذات الشاعر فتملأها سلبية تقترب من العدمية، فتتحوّل هذه الذّات بالقوة إلى ذاتٍ تفقد معها الأشياء قيمتها فلا تعود تشعر بشيء، وتنفي بعد ذلك كل ما يحيط بها، وفي هذا يقول فاتح علاق:

لا الأرض زادي

ولا الرّوح مائي

لا الأرض ظهري
ولا الرّوح نيلي. **(فاتح، 2003، الصفحات 19-20)**

إنّ المقطع الأوّل من القصيدة، بلا شك، أغنية مأساوية وُلدت من رحم الأحزان وتغذّت على جراح الغربة، والغربة تجربة جعلت من الشّاعر ينغمس في عذابه وغيابه وقلقه، ولكنّ الرّغبة في تخطي هذه الذكرى الأليمة كانت الدّافع للعودة إلى الوطن، وهي العودة التي طالما غذّاها الشعور بالأمل والسّرور.وفاتح علاّق وهو يؤسّس لهذه الدّلالات التي تبني وحدة النص، يعبُر بنا عبر آلية التّقابل في إيحائية منه قصد الانتقال من القيد إلى الحرية، ومن الغربة إلى الانتماء، ومن الألم إلى الأمل، ومن الوحدة إلى المشاركة. وفي هذا السياق يقول الشاعر:

يبدأ الدرب من قلقي
ويعود الطريق إليّ
من ألم قد بدأت الرحيل
إلى أمل جامح
وأشرعة للهديل
(...)
من قمر جارح
من سفر مالح
من معصرة
إلى شجر فارع
يشاركني لغتي العالية. **(فاتح، 2003، الصفحات 20-21)**

تتأسّس كثير من الدلالات المتقابلة على مفردات قريبة من التّضاد نحو: وحدي، يشاركني / موغل، مشرق / ألم، أمل/ الرحيل، يعود / ينتهي، لا ينتهي / يبدأ، ينتهي. وتقدّم الصفات في هذا السّياق دورها في رسم معالم التّقابل من خلال تجسيد معالم " هناك" وما تمثّله بلاد الغربة، و"هنا" وما يقدّمه الوطن. ولعلّ هذه الوحدات تؤسّس لهذه الفكرة: جارح، مالح، العراء، ضائعة/ جامح، مشرق، رائعة، فارع، العالية، خافق.

يمكن أن نقول في الأخير إنّ مبدأ التّقابل من الآليات المهمّة التي اعتمدت عليها القصيدة الشّعرية وجعلت منها على الرغم من الدّلالات المتضادة، بنية دلاليّة موحّدة منسجمة ومتلاحمة.

. السؤال والجواب :

من الآليات المهمة التي يرتكز عليها النص الشعري "في اتجاه الوطن"بناؤه على ثنائية السّؤال والجواب التي تؤسّس للرّبط والتّماسك النصي إذ تربط بين دلالات كلّ المقاطع الثلاثة بعضها إلى بعض، ويشعر المتلقي إذ ذاك بملاءمة السؤال"إلى أين تمضي؟"الدّال على أنّ الشّاعر في رحلة بحث وسفر، للجواب المعبّر عن المقصد الذي يريد أن ينتهي عنده. وتقدّم "أين" ملمحا مكانيا هو الهدف من البحث الذي يستنزف من الشاعر جهده وقلقه. وما يثير الانتباه في هذا السّياق، إمكانية تقديم عنوان القصيدة على أنّه جواب للتّساؤل الذي يُطرح بشدّة على فاتح علاّق "إلى أين تمضي؟"، وهو الذي خرج من تجربة كسرت ذاته وجرّته نحو الارتماء في الضّياع والوحدة والاضطراب النفسي، فتظهر أمامنا صورة الشاعر الهائم على وجهه، لا يدري أين يتّجه.

وبطبيعة الحال فإنّ الأجوبة المقدّمة تتمتّع إلى حدّ كبير بوصف دقيق للرّحلة وما يحيط بها من أهوال السّفر الشّاق، فترتدّ في أذهاننا صورة الشّاعر الغريب في بلاد غريبة،تبدأ رحلته من السير على درب موحش واسع العراء. وما يزيد من فاجعته الوحدة التي تقذفه من مكان إلى آخر، وشعوره بالرهبة والسكون، وفي ذلك يقول:

وحدي على الدّرب يلتهم السّير خطوي
ويقذفني في اتّساع العراء
وحدي رجلي وأعدو ورائي. **(فاتح، 2003، صفحة 19)**

وتلتقي أحوال المكان الذي تبدأ منه الرحلة مع أحوال الذّات التي يخلق فيها المكان الموحش قلقا وألما وعذابا، لتصنع للملتقى أجواء مرعبة يستطيع من خلالها تشكيل رؤية واضحة عن دوافع الهروب والفرار للوصول إلى الوطن، عندئذ يكون التّعبير التّالي للشّاعر: أحمل رجلي وأعدو ورائي، من المفاهيم الدّلالية التي تحرك وجدان المتلقي وتجعله يلمس حجم المعاناة والصّراع الذي يعاني منه الشاعر. إنّها المعاناة التي جعلت واقع الشاعر قاتما.

3. خاتمة:

ضع في خاتمة البحث تلخيصا لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النتائج المتوصل إليها، وتقديم اقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث.

ما يزال النّص الأدبي إلى حدّ السّاعة تتجاذبه اتّجاهات كثيرة ومناهج مختلفة تسعى كلّها في محاولات جادّة منها إلى الإحاطة به تحليلا وتنظيرا. وتعدّ لسانيات النّص أحدث الدّراسات التي اهتمّت ببناء النّص وتماسكه مع التّأكيد على العناية بكل النصوص مهما كان نوعها، وتصرّ على أنّ مجال دراساتها يبدأ من النّص وينتهي عنده، وهي في ذلك تحاول الكشف عن الطريقة التي تنتظم بها أجزاؤه وترتبط فيما بينها لتخبر على الكلّ المفيد.

ويبدو جليّا أنّ محاولة الكشف هذه والبحث في كيفية بناء النّص الشّعري وفي العلاقات التي تربط أجزاءه بعضها إلى بعض من المهام الصعبة خاصة عندما ندرك أنّ المنجز اللغوي الإبداعي له من الخصوصيات ما يجعله متفرّدا على كلّ المنجزات اللّغوية.

وإذا عدنا إلى القصيدة –محلّ التّحليل–، أمكنتنا المقاربة النصّية من فهم أسرار عالم النّص الشّعري " في اتّجاه الوطن " والدّخول في أعماقها الجماليّة والنّصيّة التي تتّخذ من التّرابط بين بنيات النّص الظاهرة وبنياته العميقة مع السّياق مرتكزا قويا يدعم تماسك هذه القصيدة، لذلك يقدّم هذا التّعالق والانسجام قيمة جمالية بالغة الأهمية من خلال قدرتها على التّأثير في المتلقي.

4. قائمة المراجع:

علي عبد الرضا. (2007). موسيقى الشعر العربي قديمه وحديثه (الإصدار 1). عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.

البوعناني شوقي. (2018). مبدأ الانسجام في تحليل الخطاب القرآني من خلال علم المناسبات (الإصدار 1). بيروت، لبنان: مؤمنون بلا حدود للنشر والتوزيع.

الهاشمي محمد علي. (1998). العروض الواضح وعلم القافية (الإصدار 3). بيروت، لبنان: دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع.

بوقرة نعمان. (2012). لسانياتالخطاب، مباحث في التأسيس والاجراء (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.

خطابي محمد. (1990). مدخل إلى انسجام الخطاب (الإصدار 1). بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

خليف حسين علي. (2011). منهج الدرس الصوتي عند العرب (الإصدار 1). لبنان، لبنان: دار الكتب العلمية.

شبل عزة. (2007). علم لغة النص (الإصدار 1). القاهرة، مصر: مكتبة الآداب.

شوقي أحمد. (دون تاريخ). الشّوقيات. بيروت، لبنان: دار الكتاب العربي.

علاق فاتح. (2003). آيات من كتاب السهو. الجزائر، الجزائر: منشورات اتّحاد الكتاب الجزائريين.

فان ديك. (2000). علم النّص مدخل متداخل التخصّصات، تر: سعيد حسن بحيري. لقاهرة، مصر: دار القاهرة للكتاب.